الأدب والنقد

مظاهر الحجاج في مقالات عبد الله فرَّاج الشريف

(رؤية تحليلية)

إعـــداد

د/ راشد خليفة الرحيمان

دكتوراه جامعة الملك فيصل - مُعلِم - إدارة التعليم بالأحساء

المملكة العربية السعودية

مجلة الكلية

مظاهر الحجاج في مقالات عبد الله فرَّاج الشريف (رؤية تحليلية)

راشد خليفة الرحيمان

قسم اللغة العربية - جامعة الملك فيصل ـ مُعلِّم ـ إدارة التعليم بالأحساء – المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: ralreheman@hotmail.com

ملخص البحث:

يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى استظهار معالم الخطاب الحجاجي الذي يتكيء عليه العديد من الكتاب، باعتباره آلية مهمة من آليات النص، حيث يبلغ الكاتب مأربه وهدفه من خلال بعض الآليات التي تمكنه من إيصال مراده، ويعتبر الكاتب عبد الله فراج الشريف من أبرز كتاب المقالة في المملكة العربية السعودية، الذين اعتمدوا على حجاجية المقالة بصورة مركزة، لذلك ارتكز هذا البحث على مقالاته كمادة للتطبيق عليها، وقد عنونت البحث بمظاهر الحجاج في مقالات عبد الله فراج الشريف: رؤية تحليلية. بغية التعرف على المحددات للمقالة السعودية وأساليبها الحجاجية، وتمثل أهم الأسباب الداعية لاختيار مقالات الشريف في شيوع مقالات عبد الله الشريف مما يجعلها ظاهرة أدبية لها حضورها الفعلي، وتستوجب الكشف عن ملامحها الأدبية، رغبة في التعرف على الأسباب الداعية لتوظيف الحجاج في المقالة السعودية عامة، وخاصة مقالات الكاتب عبد الله الشريف، وبناء على ذلك برزت إشكالية الدراسة التي انطلق منها البحث، وتمثلت في التساؤل: ما آليات الحجاج التي اتكأ عليها الكاتب السعودي عبد الشريف في مقالاته؟ المنهج الحجاجي التحليلي، الذي سنتمكن من خلاله للوقوف على معالم الحجاج وأبرز مظاهره في مقالات الكاتب السعودي عبد الله الشريف، وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيَّة: الحجاج- المقالة- عبد الله الشريف- المقالة السعودية.

Aspects of Argumentation in the Essays of Abdullah Farraj Al-Sharif (An Analytical Perspective)

Rashid Khalifah Al Ruhaiman

Department of Arabic Language – King Faisal University – Teacher – Al-Ahsa Directorate of Education – Kingdom of Saudi Arabia.

E-**mail**: ralreheman@hotmail.com

Research Summary:

This study aims to explore the features of argumentative discourse in the articles of Saudi writer Abdullah Farraj Al-Sharif, one of the most prominent essayists in the Kingdom of Saudi Arabia, who heavily relies on argumentation as an effective mechanism in constructing essays and conveying ideas. Argumentation is considered one of the most significant rhetorical techniques that writers employ to achieve their objectives and persuade the reader by utilizing various linguistic tools and logical reasoning. The researcher has chosen Al-Sharif's articles due to their notable presence in the literary scene and the considerable interaction they generate between writer and reader, making them worthy of study as a model that reflects the characteristics of modern Saudi essays and their distinctive argumentative styles. This study seeks to uncover the argumentative structures employed in Saudi essays and shed light on the motivations behind writers'- particularly Al-Sharif's - use of argumentation. Accordingly, the central research question is: What argumentative strategies does Abdullah Farraj Al-Sharif rely on in his articles? The study adopts an analytical-argumentative methodology, enabling an in-depth examination of the components and manifestations of argumentation in the writer's articles through selected samples. The research is divided into an introduction, two main sections, a conclusion, and a list of sources and references.

Keywords: Argumentation – Essay – Abdullah Al Sharif - Saudi Essay.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين الذي أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، أما بعد:

تحمل الآداب العربية والعالمية العديد من الأنماط التعبيرية التي تتعدد دلالاتها وتختلف مقاصدها، إذ يعدُّ الإبداع الأدبي هو المقوم الأول والأهم الذي يعكس الواقع الحياتي المعيش، فيستطيع الأديب أو المبدع بث رسائله بالصورة المناسبة وفي النمط الأدبي المناسب كما يراه ويحدده، وكما يرى مناسبته للحال الذي يعيش فيه المجتمع المحيط به.

إن الخطاب الحجاجي مجال لساني فسيح، يتأسس على توافر وجهتي نظر- في موقف مواجهة- تدخلان معا في إطار علاقة تفاعلية، تهدف إلى ترسيخ وجهة النظر المتبناه، وإقناع الآخرين بها، ومن ثم تتوجه بالإقناع إلى المتلقي، كما تهدف إلى تعرية وجهة النظر المقابلة، وإعادة تفسيرها وصياغتها لصالح الوجهة الأقوى.

ويعدُّ المقال من أهم الأنواع الأدبية التي تجلت فيها معالم الحجاج، إذ اعتمد الكتاب في مقالاتهم على آليات الحجاج للخروج عن المألوف، ونقد مظاهر الحياة العامة بشكل غير مباشر، يحمل في طياته الرؤى الجادة التي تهدف إلى حل إشكالات معينة ومخصوصة، يحددها الكاتب في عنوان مقاله، وغالبًا ما يعمد إلى دمج الحجاج بالمواربة والتلميح والرمز عبر فنون القول، حيث إن المقال من أهم أنواع الأدب في العصر الحديث، من ناحية لغته الإبداعية وأساليبه المتنوعة، وقد ظهر لي من خلال مطالعتي لجوء الكثير من الكتاب إليه تختلف من كاتب لآخر، من هذا المنطلق آثرت أن أحصر دراستي هذه في مظاهر الحجاج في مقالات عبد الله فراج الشريف: رؤية تحليلية. بغية التعرف على المحددات للمقالة السعودية وأساليبها الحجاجية.

فتعمل هذه الدراسة على إثبات فكرة عامة مفادها أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وأن الحجاج متجذر في اللغة ولصيق بها التصاق وجهي

العملة الواحدة التي لا يمكن فصل أحد وجهيها عن الآخر، فاللغة تحمل في جوهرها مؤشرات ذاتية تدل على طبيعتها الحجاجية(١).

كما تعمد هذه الدراسة إلى إزاحة الفكرة الشائعة التي تقر بأن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية الإخبارية فقط، وترسي مكانها فكرة جديدة بجعل الوظيفة الحجاجية وظيفة أساسية للغة(٢).

ولا شك أن مقالات الرأي المنتجة من قبل الصحافة المكتوبة هي المنبر الأساسي لتمرير خطابها الصحفي ذي الوجهة الحجاجية؛ لما له من قدرات إقناعية تؤهله لإيصال الفكرة، ومن ثم الإقناع بها.. وقد اخترت كتابات الكاتب عبد الله فراج الشريف كنموذج لتبنيه هذه اللغة الحجاجية الإقناعية، عن طريق مقالاته في عدد من الصحف السعودية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. شيوع مقالات عبد الله الشريف مما يجعلها ظاهرة أدبية لها حضورها الفعلي، وتستوجب الكشف عن ملامحها الأدبية.
٢. التباين في معرفة مقاصد توظيف الحجاج في المقالة وأهدافه بين المهتمين والنقاد.
٣. عدم وجود دراسة كافية لهذا الموضوع؛ فلم أقف -حسب اطلاعي وبحثي- على دراسة تناولت الموضوع بمحدداته.
٤. الأهمية الأدبية والثقافية التي تتمتع بها المقالة السعودية في الوقت الراهن، مما يؤهلها للانتشار بصورة كبيرة، ويجعلها من أهم الفنون القولية والإبداعية التي تستدعي الدراسة والبحث.

---

(١) انظر: بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني، د. عبد الرحمن رجا الله السليمي، مجلة الأثر، العدد(٢٩)، ٢٠١٧م، ص٩١.

(٢) انظر: نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكرو وأنسكومبر"، جايلي عمر، جامعة الأغواط، بحث منشور في مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد(٣)، ٢٠١٨م، ص١٩٤.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. التعريف بالحجاج وأليّاته وأهميته وأهدافه، مع استظهار معالمه في مقالات الكاتب السعودي عبد الله الشريف.
٢. التعرف على الأسباب الداعية لتوظيف الحجاج في المقالة السعودية عامة، وخاصة مقالات الكاتب عبد الله الشريف.
٣. إظهار الآليات الفنية التي تستوعبها حجاجية المقالة، وأهم المرتكزات الفنية التي اعتمد عليها.
٤. دراسة أسباب اعتماد الكتاب على الحجاج بوصفه أسلوبًا تعبيريًا لنقد القضايا المهمة ومعالجتها.

إشكالية الدراسة:

تدور إشكالية هذا الموضوع حول مظاهر الحجاج في مقالات الكاتب السعودي عبد الله الشريف، ووفقًا لذلك برز تساؤل رئيس مفاده: ما آليات الحجاج التي اتكأ عليها الكاتب السعودي عبد الشريف في مقالاته؟ ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية، نصيغها فيما يلي:

١. ما المقصود بالحجاج؟ وما أبرز معالمه في مقالات الكاتب السعودي عبد الله الشريف؟
٢. ما الأسباب الداعية لتوظيف الحجاج في المقالة السعودية عامة، وخاصة مقالات الكاتب عبد الله الشريف؟
٣. هل نقف على آليات فنية تستوعبها حجاجية المقالة، وما أهم المرتكزات الفنية التي اعتمد عليها؟
٤. كيف اعتمد الكتاب على الحجاج بوصفه أسلوبًا تعبيريًا لنقد القضايا المهمة ومعالجتها؟

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن نحتكم إلى محددات المنهج الحجاجي التحليلي، الذي

سنتمكن من خلاله للوقوف على معالم الحجاج وأبرز مظاهره في مقالات الكاتب السعودي عبد الله الشريف، وذلك وفق رؤية معينة أراها مناسبة لإنجازه.

الدراسات السابقة:

هناك عدد لا بأس به من القراءات الانطباعية لبعض المقالات السعودية إلا أنني لم أعثر على دراسة علمية تناولت الحجاج في مقالات عبد الله الشريف تحاكي موضوعي هذا أو تتقاطع معه بصورة مباشرة. وقد أفدت من بعض الدراسات العربية التي تطرقت للمقالة السعودية بمختلف توجهاتها، ومنها:

١. بلاغة المقالة الساخرة، مقاربة خطابية، انتصار المسلمية، (رسالة ماجستير)، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٧م، وهدفت هذه الرسالة إلى التعرف على بلاغة المقالة الساخرة، وليس المقصود بالبلاغة الأسلوب؛ وإنما المقصود هو الجمالية المستمدة من المكونات الثابتة للمقالة الساخرة، وسماتها الخطابية.

٢. الصورة الفنية في المقالة الصحفية السعودي، راشد العيسى، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، جامعة البلقاء التطبيقية -عمان، ٢٠١٦م، ركز هذا البحث على التصوير الفني، وقدم الباحث تصورا عن المقالة وفق تجليات الصورة الفنية، وهو ما يفتح آفاق للدخول في فهم الموضوعات التي تتكئ عليها السخرية.

٣. فن المقالة في الأدب السعودي الحديث - ملامح النشأة والتجديد والبناء الفني لدى أدباء منطقة جازان (علي بن أحمد النعمي) نموذجًا، خالد جابر خلوفة محزري، بحث منشور، المجلة العربية- مداد، مصر، ٢٠٢٢م.

تتفق هذه الدراسات مع دراستي في أنها تنهض على فن المقالة السعودية، وقد أفيد منها فيما يتعلق بالشق التنظيري لدراستي، ومن جهة أخرى تختلف هذه الدراسات عن دراستي في الشق التطبيقي أو المدونة التي سيرتكز عليها البحث، إذ تتحدد دراستي بمقالات الكاتب السعودي عبد الله فراج الشريف، وكذلك تتحدد بإطار مكاني لا تخرج عنه يتمثل في المملكة العربية السعودية، فلا علاقة للبحث بالكتاب الآخرين، وكذلك تتحدد دراستي من الناحية الموضوعية بالحجاج ومظاهره المختلفة في اللغة الأدبية

لمقالات الكاتب عبد الله فراج الشريف دون سواه.

خطة الدراسة:

- **مقدمة.**
- **المبحث الأول:** مفهوم الحجاج لغة واصطلاحًا.
- **المبحث الثاني:** مستويات الحجاج في مقالات عبد الله فراج الشريف.
- **الخاتمة.**
- **ثبت المصادروالمراجع.**

المبحث الأول
مفهوم الحجاج ووظائفه وآلياته

الحجاج في اللغة:

ورد في لسان العرب وتحت مادة(ح ج ج) قول ابن منظور:"حاججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة هي البرهان أو ما دوفع به الخصم وتجمع الحجة على حجج، ويقال حاجه محاجة وحجاجا، أي نازعه الحجة، والتحاج هو التخاصم والرجل المحاج هو الرجل الجدل، والاحتجاج: من احتجّ بالشيء، أي اتخذه حجة، ويقال أنا حاججته، فأنا محاجه وحجيجه أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان"(١).

يمكننا من خلال هذا المفهوم استنتاج دلالات لغوية متنوعة ومترابطة تدل على استعمالات متنوعة لهذا الجذر ضمن سياقات مقامية متعددة نذكر منها ما يلي:

.دلالة التخاصم والتنازع:"والتحاج: التخاصم، وحاجه محاجة وحجاج: نازعه الحجة".

.دلالة البرهان والدليل:" الحجة: الدليل والبرهان، واحتج بالشيء: اتخذه حجة".

.دلالة الغلبة والظفر: وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته".

وعلى هذا يحمل الحجاج في مضمونه دلالة ومعنى مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي، الممثل في التخاصم والتنازع والجدل والغلبة، باعتبارها عمليات مأخوذة هنا بمعانيها الفكرية والتواصلية، فهي عمليات تفيد معاني المشاركة والتعدد والتفاعل(٢).

الحجاج في الاصطلاح:

الحجاج أحد الأفعال الإنسانية التي تسعى إلى الإقناع بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما، وتتنوع لأجل ذلك الوسائل المستعملة، وتستخدم إجراءات

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ت. عبد الله على الكبير، دار المعارف، بيروت، مادة (ح ج ج)، مج٢،ص٧٧٩.

(٢) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي، حبيب أعراب، عالم الفكر، ٢٠٠١م، ص٢١١.

معقدة تماح من غنى السلوك الإنساني [١].

وهو: " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[٢].

وظائف الحجاج:

. **وظائف إقناعية:** وذلك حين يجتهد المتكلم في إقناع مخاطبه أو قارئه ليشاركه وجهة نظره فيستنجد بأحاسيسه وعقله، وهو في الوقت نفسه يدحض حجج الأطروحة النقيض وذلك بإظهار نواقصها في الحجة أو ضعفها.

. **وظيفة سجالية:** وذلك حين يجل المحاج هدفه الأساس السخرية من الذين يشاطرهم الرأي، ويمكن القول أنه يسعى أن يحبس أطروحة الخصم في مأذق.

. **وظيفة الدحض والنقض:** دحض ما يعتبره المحاج مزاعم أى بها خصمه فيعمل على دحضها وكشف ضعف منطقها التداولي[٣].

كما يتفرع الخطاب الحجاجي إلى أنواع، بحسب وجهته التأثيرية أو الاقناعية وما تحمله من أطروحات مباشرة أو غير مباشرة ذات طابع موضوعي، من وجهة النظر البلاغية والتداولية والفلسفية ولاسيما أن خطاب القرآن الكريم يجعل بعض المتلقين يميلون إليه ويتفاعلون معه، فكان التواصل الحجاجي في الخطاب القرآني مبحثاً أخيراً في هذا الفصل؛ فنظام التواصل الحجاجي شرط من شروط الحجاج؛ إذ لا حجاج من دون حدوث التواصل والذي يعني الباحث هو الأسلوبية التي تجعل من النص خطاباً حجاجياً متواصلاً مع الآخر يحمل ملامح التأثير في المتلقي سواء أكان الخطاب الحجاجي بلاغياً أم تداولياً أم فلسفياً، في محاولة جادة لإيجاد ذلك في هذا الفصل فضلاً عن رأي الباحث فيها[٤].

(١) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م، الدار البيضاء، ص١٦.
(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م، ص٢٢٦.
(٣) الحجاج والحق في الذاتية، خالد ذكري، مجلة علامات، ع٢٣، ص١٣٩.
(٤) انظر: اللسان والميزان، ص ٢٢٦

الحجاج في البلاغة العربية:

هناك من يعتبر أن الهدف من البلاغة العربية هو الزخرفة والتزيين والتنميق في الكلام، إلا أن المتعمق فيها يجد أن الهدف منها هو الإقناع، فالغاية الرئيسة منها هي غاية حجاجية بالدرجة الأولى، والدليل على ذلك هو أن أغلب التعاريف التي أعطيت لها من قبل أهم البلاغيين القدامى جاء على هذا النحو:

عرفها أبو هلال العسكري بقوله:" البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"، وقال أيضا:" البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ وإيجاز في صواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة"(١).

وهذا الجاحظ يعرفها بقوله:"جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، وإذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها أبلغ في الدرك وأحق بالظفر"(٢). فبين أبو هلال العسكري والجاحظ وظيفة البلاغة الإقناعية من خلال هذه التعريفات.

فوائد الحجاج:

يترتب على الحجاج في اللغة العربية وأساليبه المتعددة فوائد منها:

- توصل الفكرة أو القضية المرادة إلى المتلقي ، عبر الأسلوب أي من أساليب الحجاج.
- تشجيع المهارة الإقناعية ، لدى من يستخدم الأساليب الحجاجية.
- من أهم الفوائد التي يقوم بها الأسلوب الحجاجي ، هو أنه يعزز الحوار بين الأفراد في المجتمع.
- تصحيح الأفكار الخاطئة ، والتصدي للقضايا الباطلة

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ت. علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص١٠.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ، ت. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ص٨٨.

- الأخذ بالرأي الصحيح ، وتحقيق مبدأ الإقناع ، وهو من أهم المبادئ التي يصعب الاعتراف بها[١].

أمور يجب مراعاتها :

يجب مراعاة الأمور الفنية التي تتعلق بالأسلوب الحجاجي حتى يكون نصاً قويا وأسلوبا يمكن من خلاله إثبات الرأي، ومن أهم هذه الأمور الفنية:

- يجب أن تكون العبارة دقيقة جداً، وهناك ترابط بين المفردات التي تتكون منها العبارات، وبين العبارات وبعضها البعض.
- أن لا تحتوى الجمل على أخطاء نحوية، إملائية، أو غيرها من الأخطاء التي تخل بالجملة.
- عدم الإطالة في التعبير عن المعنى المراد.
- من أهم الأشياء الفنية التي يجب أن تكون جودة أسلوب الحجاج هو أن يحتوى على عناصر صحيحة، وبراهين وأدلة قوية، فإن كان كذلك فيمكن الوصول من خلاله إلى الغرض الذي جاء من أجله ، ولكن إن كان العكس فإننا نصل منه إلى أي شيء[٢].

الكاتب عبد الله فراج الشريف :

تربوي سابق وكاتب متخصص في العلوم الشرعية، كتب في جريدة البلاد والمدينة وغيرها، له سلسلة مقالات"مبدأ القول" في جريدة البلاد، ومن مقالاته في جريدة المدينة:

. إذا تنكرت الدنيا للإنسان لمرض وانقطاع عن الناس. الخميس ٢٥-٢-٢٠٢١

. العالم الأول الذي افترى على الأمم!! السبت ٢٠-٢-٢٠٢١

. معارك الأحزاب في الغرب. الخميس ١٨-٢-٢٠٢١ [٣]

---

(١) ينظر:الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص٢١٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢١٨.

(٣) https://www.al-madina.com/author/763

ومن سلسلة مقالات مبدأ القول:

الصحيفة / البلاد التاريخ : ١٢/١٢/٢٠٠٢م ص ١١

اسماء التوجه والايديولوجيا، وهو الامر الذي يسجل لهم، مهما اختلفوا فلهم مواقف موحدة في القضايا المركزية والمهمة ، وكم كنا نطالب بان يكون الحوار بيننا حضاريا مهما اختلفت اتجاهاتنا، ولكن الدكتور لايعجبه ان نتفق على شيء، فهو يريد من المثقفين ان يؤسسوا الفرقة بينهم يهواها، ويبلغ به الحد في هجومه هذا ان يستهين بكل الرموز الثقافية في هذا الوطن فيصفهم بانهم امعات يوقعون على بيانات صيغت وفق املاءات شخص واحد،

مبدأ القول

عبد الله فراج الشريف

جريدة البلاد وجهود المخلصين

المبحث الثاني
مستويات الحجاج في مقالات عبد اللّه فراج الشريف

الحجاج على مستوى الكلمة المفردة:

وسأتناول الحجاج بالكلمة على المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي في مقال"جريدة البلاد وجهود المخلصين" في سلسلة مقالات"مبدأ القول" للكاتب الراحل.

أولا: المستوى الصوتي:

يعرف ابن جني الصوت بأنه:"عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً"(١). فيعني ذلك أن هناك جرسًا صوتيًا مختلفًا لكل حرف معجمي بحسب اختلاف مقاطع الأصوات.

هذا ويمكن اعتبار الموسيقى الصوتية رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس، وامتلاك الأنغام للأسماع، وما كان أملك للسمع كان أفعل باللب وبالنفس(٢).

يقول ابن الأثير :"إن الالفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذي دماثة ولين.."(٣).

وقد كان الكاتب عبد الله فراج الشريف يتخير الألفاظ تخيرا يقوم على أساس تحقيق الموسيقى المتسقة مع السياق.

وسآخذ لذلك مثالا من مقالته:"جريدة البلاد وجهود المخلصين"، يقول:" وأن نختلف في الرأي فتلك ضرورة تمليها علينا فطرة خلقنا عليها، ومدارك وأفهام متنوعة، وأن يقدر

(١) سر صناعة الإعراب، لابن جني، ت. د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م، ٦/١.
(٢) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، دار حلاوة للنشر، الأردن، ٢٠١١م، ص١٢٧.
(٣) المثل السائر، لابن الأثير، ت. أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ١٩٥/١.

كل منا للآخر موقفه وما دفعه إلى الاختلاف مع رأيه، دون أن يولد ذلك تنافرًا بيننا أو عداء، هو سلوك حضاري وإسلامي افتقدناه في خضم معارك يثيرها الاستبداد بالرأي الذي مني به كثير منا"[١].

فانظر إلى تعبيره (في خضم معارك يثيرها) بالتعبير بلفظ (خضم)، ويعني البحر الواسع، بمعنى أن هذه الصراعات وتلك التجاوزات التي تحدث من البعض ضد البعض الآخر جعل الفجوة بين العلاقات الاجتماعية عميقة، والتي يجدر بها أن تكون أقل اتساعًا، وأن يكون الأمر بين الناس أكثر مرونة، وأن يسود مبدأ الود بين أطياف المجتمع كله.

وهكذا تبدو عبارات عبد الله فراج الشريف أكثر دقة، إذ يجعل من الصوت واللفظ منطلقًا لخطاب حجاجي رصين، فاللفظة بمعناها العام هي مجموعة من الوحدات الصوتية مكونة بطريقة معينة، لترمز إلى الأشياء الحسية والأفكار المجردة ، فيؤدي التشكل اللغوي من خلال هذه الفرضية إلى ازدواجية التعبير، بمعنى أكثر دقة : يؤدي إلى خلق عاطفة داخلية، من خلال تكثيف دلالاتها وإيحاءاتها[٢].

ويشير ابن جني إلى مثل هذا التناسب بين الصوت ومعناه والمعروف عنده بتصاقب المعاني يقول:" فأما الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عندعارفية مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، ومن ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء وما كان نحوها من المأكل والرطب، والقضم للصلب اليابس"[٣] .

وإن اختلف معنى (خضم) في القولين، فلفظ الخضم في قول عبد الله فراج الشريف، يشير به إلى صعوبة الآراء واحتدامها وكأن في بحر لجي متلاطم الامواج، وقد بدأ

---

(١) نشر المقال بجريدة البلاد بتاريخ، ٢٠٠٢/٢/١٥م.

(٢) انظر : دراسة لغويّة ومعجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، الإسكندرية، ص٣٤.

(٣) الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة ، ٢/ ١٥٣.

اللفظ بحرف (الخاء) وهو آخر الحروف الحلْقية، مهموس رخو يأتي للمطاوعة والانتشار والتلاشي، وهو إذا لفظ صوته بشيء من الشدة والخنخنة، بعيداً عن جوف الحلق، أوحى بإحساس لمسي مخرش[١]، ثم تبعه حرف (الضاد) ومن خصائصه أنه في حالة التفخيم والتشديد يوحي بالصلابة والشدة والدفء كأحاسيس لمسية، وبالفخامة والضخامة والامتلاء كأحاسيس بصرية، وبالضجيج كإحساس سمعي، وبالشهامة والرجولة والنخوة كمشاعر إنسانية[٢]، والجمع بين الصوتين يوحي باحتدام الآراء وشدتها واختلافها.

ثانيا: الحجاج على المستوى الصرفي للكلمة:

تعد الصيغة الصرفية للكلمة أداة من أدوات التأثير في الخطاب الحجاجي، بما تختزنه من معان تضاف إلى معناها المعجمي، فالمتكلم يختار صيغة صرفية دون غيرها لتعبر عن موقفه تجاه موضوع الخطاب، والرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي، مراعيا في ذلك اختيار الصيغة الأنسب للسياق، فالصيغة الصرفية ترتبط بما ترد فيه من تراكيب نحوية (النظم) وباجتماع خصائصها الصرفية والتركيبية وتعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية والحجاجية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها، فأبنية الكلمات يمكن أن تتحول إلى رافد إقناعي مهم إذا ما روعيت الملاءمة بينها وبين الحجج الاستدلالية غير اللغوية في الخطاب [٣].

ومن نماذج ذلك في كتابات الكاتب عبد الله فراج الشريف، قوله في عنوان مقالته السابقة "جريدة البلاد وجهود المخلصين"، فالمقالة كما يبدو من عنوانها هي مدح لجهود العاملين بهذه الجريدة العريقة والتي عمل بها الكاتب نفسه في سلسلة مقالات كان يكتبها تحت عنوان"مبدأ القول"، وقد استعمل الكلتب صيغة "فعول" بجمعه كلمة جهود، وجاء

(١) ينظر: خصاص الحروف ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ص١٧٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٥٣.

(٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، ص١٠٥.

بهذه الصيغة أو الوزن من جموع الكثرة، ليثبت وجهة نظره وهي كثرة الجهود المخلصة في هذه الجريدة، وما كان له أن يصل إلى هذا المستوى الحجاجي لو جاء بصيغة أخرى على وزن آخر.

ولذلك فالانتباه إلى خصوصية الكلم التي تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللفظة واللسان يحدث به التفاضل، وإن سُوِّيَت في النطق والعبارة، وإنَّما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة، ، ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفْلقاً، وابنَ عمه وجار جَنابه ولصيقَ طُنُبه بكيئاً مفحَماً؛ وتجد فيها الشاعرَ أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب[1].

وفي مقال له بجريدة المدينة بعنوان: "إذا تنكرت الدنيا للإنسان لمرض وانقطاع عن الناس"، جاء قوله: "الإنسان - ولا شك - كائن اجتماعي لا تلذ له الحياة إلا بالاختلاط بسواه ممن خلق الله، يحادثهم ويجالسهم ويعيش بينهم مختلطاً معهم، فإذا شاء ربه لمرض أو فقر أو ما سواهما فانقطع عن الناس جزئياً أم كلياً، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وشكا جفوة الحياة وساءه الانفراد عن الخلق الذين كان يخالطهم ويجالسهم وتجري بينه وبينهم المناقشات. أصبح يشعر أنه منفرد عن الناس، وإن بقي مخالطاً للنساء والأطفال، خاصة في المرض الذي يعزله عن شتى ألوان الحياة إلا من هم مثل حالته في المستشفيات، وكل منهم منشغل بحالته، ولا حديث لهم إلا عمّا أصابهم، ومن يراجعونهم من الأطباء الذين تبقى الصلة بهم بالمرض والعلاج والدواء فلا شأن لهم بسواه"[2].

في هذا المقال يشير عبد الله فراج الشريف إلى أن الإنسان لا يمكنه العيش بعيدًا عن

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. (١٥/١).

(٢) مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ٢٥ فبراير ٢٠٢١م.

المجتمع، وأن العزلة وإخراج الإنسان من مجتمعه الذي عاش فيه من أشد الأمور مرارة وقسوة، فالإنسان مجبول على الوجود داخل المجموعة، يفرح لفرح أفرادها ويحزن لحزنهم، وما أشد حزنه إذا حدث له انعزال عنهم لمرض أو سفر، يستعشر كأن روحه قد نُزعت منه، لذلك أقام الإنسان المستشفيات ليكون توصل المرضى مع بعضهم وشكوى كل واحد منهم حاله إحدى الوسائل الفاعلة في العلاج والتداوي.

انظر إلى تعبير الكاتب بصيغة المفاعلة الدالة على المشاركة في قوله: (لا تلذ له الحياة إلا بالاختلاط بسواه ممن خلق الله، يحادثهم ويجالسهم) فجاء الصيغة في (يحادثهم ويخالطهم) لتدل على فضل الاختلاط، أو كحجة له، وكان من الممكن أن يقول: يحدثهم أو يجلس إليهم بدون زيادة، إلا أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما يقال.

حيث تبدو الحجة القائمة بإنكار حال الشخص الذي يعيش في العزلة، فيخاطبه بطريقة الاستدراج والتملق، ليدقعه إلى الثورة على حاله، ويحفز فيه الإرادة نحو التغيير والتبديل للأفضل، وأن يخالط المجتمع؛ فهو إذ يخاطبه بهذا القول يستمل فيه عاطفة الإصلاح والرغبة في العودة للصواب من ناحية ويطلب منه أن يعمل وفق منهج المجتمع من ناحية أخرى، حيث يقوم الكاتب المتمرس بتفريغ ما أثار حفيظته ضمن قالب، يأمل أن يصل من خلاله إلى المجتمع، إنه تحذير اجتماعي، يأمل من خلاله أن يعود المجتمع إلى ما يجعله مرنًا وفاضلًا.

ومن استعمال الصيغ الصرفية كأداة حجاجية ما جاء في مقالة أخرى بعنوان:"لا حياة إلا بطاعة الله"، يقول فيها:"الحياة في الدنيا لا يمكن أن تكون قوية إلا مع الطاعة، فالطاعة هي ما تجعل الحياة في أوج المسرَّة، فلا بد للعبد أن يطيع الله، وهو يحيا لله ويطيعه، فهو إنما خُلق ليعبد ربه، فالله قرر أن سبب خلق البشر ليعبدوه، حيث قال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾"[1].

حيث آثر استعمال صيغة المبني للمجهول، في قوله (فهو إنما خُلق ليعبد ربه)، وكان

(١) مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ١٣ فبراير ٢٠٢١م.

من الممكن أن يستعمل صيغة المبني للمعلوم، إلا أن في استعماله هذه الصيغة أمرين:

الأول: أن الفاعل معلوم وهو الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ، يعرف به المؤمن والكافر.

والثاني: في حذف الفاعل- المعلوم للمخاطب- تسليط للضوء على ما يأتي بعده، وهو الحديث عن العبادة (ليعبد) وفي ذلك تذكير بالغاية التي من اجلها خلق الإنسان، ولعل ذلك سر استشهادة بالآية الكريمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

كما أن عبد الله فراج الشريف اهتم بالأسلوب الخبرى في عرض قضيته الحجاجية، حيث تؤدي الأساليب الخبرية دورًا حجاجيا إقناعيا؛ حيث تراعي أنواع الخبر أحوال المتلقي، وتحاول إقناعه؛ "فالمتلقي الخالي الذهن يناسبه (الخبر الإبتدائي) فلا يستعمِل المُتكلم أيا من أنواع التوكيد؛ لأنَّ المتلقي يكفيه ما يعلمه من أنَّ المتكلم واثق من صِدق كلامه، والمتلقي المتردّد يناسبه (الخبر الطلبي) فالمتكلِّم لا يؤكد كلامه إلاَّ إذا كان المتلقي في حاجة إلى ذلك، ويأتي بمؤكد واحد إذا كان المتلقي مترددًا في تصديق ما يقال، والمتلقي المُنكر يناسبه (الخبر الإنكاري)، فالمتكلم يأتي بأكثر من مؤكِّد- وقد يشفع ذلك بالقسم - إن كان المتلقي منكرًا ما يسمع كل الإنكار أو ظنَّ منه ذلك"[1].

ليقيم الحجة على العاصى بأن يضرب له الأمثلة الواقعية التي تقوده مباشرة إلى الفكرة، فتعلق في الذهن ويؤثر في الوجدان، فإن المعاني متى قربت من المادية أصبحت ذات تأثير أقوى على المتلقي، وقد استعار عبد الله فراج الشريف هذا المعنى ليقيم الحجة على الشخص الغافل من أن شبابه الذي فيه قوته إن لم يكن قد ولّى فإنه حتمًا سيولي، وأن الشيب لا محالة مقبل، فإلى متى يؤخر هذا الشخص التوبة؟ إلى إي وقت ينتظر ذلك الغافل حتى يعود إلى الله تائبًا إليه نادمًا على غفلته وذنوبه؟ فإذا عقل الشخص هذا المعنى كان ذلك مدعاة حقيقة لتركه الذنوب، ودعوة جادة إلى الإقبال على الله والعودة إليه.

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي, تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢،١٩٨٧م، ص ١٧٠ـ١٧١.

ثالثا: الحجاج على المستوى المعجمي للكلمة:

تحمل الكلمة المعجمية دلالتها من حيث إنها هي التي تعبر عن المعلومات التي يحملها المتكلمون وتتعلق بتأويلهم للعالم الخارجي.. فتكون معاني الكلمات ممثلات ذهنية مستنبطة تعبر عن البنية التصورية. ومما يتعلق بالمعنى المعجمي ما يسمى لسانيا بالمقتضى.. والخطاب الحجاجي يستخدم الكلمات ذات الخصائص الاقتضائية ليكون ذا فعالية أكبر في توجيه الخطاب، وذلك عن طريق اختيار كلمة دون غيرها مما يرادفها، على أساس أن الكلمة المختارة أعلق بعالم الخطاب وأمضى أثرا فيه.

ومن الأمثلة على ذلك استعمال الكاتب عبد الله فراج الشريف لكلمة (حق) في مقال منشور له بصحيفة المدينة، بعنوان:"لن يُهزم الإسلام وتراثه قد جُرِّب وانتصر"(١).

يقول فيه:" فكانوا يوماً سادة هذه الأرض ولهم الكلمة العليا فيها، وما كانوا على طريق أولئك الصفوة الذين نشروا هذا الدين إلا وكانت لهم الغلبة بإذن الله، ونشروا الحق في كل أصقاع الأرض".

بالنظر إلى عنوان المقال: "لن يُهزم الإسلام وتراثه قد جُرِّب وانتصر"(٢) نجد عبد الله فراج الشريف قد أقام فيه إحدى الروفد المعجمية وهو التضاد بين (الهزيمة والانتصار) والأضداد في المستوى المعجمي تُعدّ من أقوى الأدوات الدلالية التي تُحقق انفتاح المعنى في النصوص القرآنية. فهي تُظهر ثراء اللغة العربية وقدرتها على الجمع بين المعاني المتضادة دون تناقض، مما يُعزّز الإيجاز البلاغي والتوسع التأويلي، كما أقام ظاهرة الاشتراك اللفظي في لفظة (تراث) حيث يمنح الاشتراك اللفظي أفقًا دلاليًا رحبًا يُمكِّن القارئ من استيعاب مستويات متعددة من المعاني. فيجعل للفظ الواحد احتمالات معنوية ودلالية مختلفة دون الحاجة إلى الإطالة، ويُهيئ النص للانفتاح على تفسيرات متنوعة بما يتلاءم مع أحوال المتلقي وزمانه ومكانه، يساعد في إثارة التأمل والتفكر، حيث لا يُقدَّم المعنى بشكل مباشر وإنما يُفتح الباب أمام تعدد الاحتمالات.

---

(١) مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ١٦ يناير ٢٠٢١م.

(٢) مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ١٦ يناير ٢٠٢١م.

وأما قوله: "ونشروا الحق في كل أصقاع الأرض" فإن الحق كما قال الراغب الأصفهاني يطلق على أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق.

الثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة. ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق.

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق.

الرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب ويقدر وفي الوقت الذي يجب، كقولك: فعلك حق وقولك حق[١].

ويمكن تمثيل المقتضى المعجمي لكلمة (حق) بما يلي:

المعنى المعجمي لكلمة (حق): نقيض الباطل، والمطابقة والموافقة، والأمر المحكم الثابت، واليقين بعد الشك.

دلالة المقتضى المعجمي لكلمة (حق): ثبوت أمر، وعدم قبوله للتغير الآراء والأهواء، وخروجه من دائرة الباطل والشك إلى دائرة اليقين.

حجاجية كلمة (حق): إضفاء القوة والثبوت على صاحب الحق، أو محل الحق، واتهام نقيضه بالبطلان والضلال، والكلمة حجة في تحسين الحق وتقبيح الباطل. فنشران الحق يقتضي خيرته لأنه لولم يكن خيرا لما كتب له القبول، ولما انتشر.

وقوله: " فكانوا يوماً سادة هذه الأرض ولهم الكلمة العليا فيها " أظهر عبد الله فراج الشريف وسيلة معجمية لغوية حجاجية تمثلت في الترادف بين (سادة الأرض – أصحاب المكانة) حيث يُستخدم الترادف في النص لتوسيع المعنى بحيث يُغطي الكلمة عدة أبعاد دلالية، مما يجعل النص جامعًا ومعبرًا عن معانٍ متعددة، ويتيح هذا التعدد استيعاب التنوع الزمني والمكاني والثقافي لمتلقي النص، فهو ليس مجرد تكرار للألفاظ، بل أداة

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ت. صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ، ص١٣٢.

لغوية عميقة تُحافظ على المرونة الدلالية، مما يجعل النص مفتوحًا للتفاعل مع كل العصور والثقافات، ويُثبت صلاحيته كرسالة عالمية خالدة.

رابعا: الحجاج على مستوى الصورة:

تعد الصورة من أهم التقنيات التي يتوسل بها الخطاب الحجاجي للتأثير في المتلقي وإقناعه(١). فالصورة في الحجاج تعد صيغة من صيغ الاستدلال الحجاجي، حيث يستغل الحجاج طاقات اللغة وما فيها من غنى ثراء لصنع هذا الاستدلال:

١ـ الحجاج بالتشبيه:

التشبيه الحجاجي المقصود هنا هو لا يؤتى به ليكون زينة زخرفية، بل ليزيد المعنى وضوحا، فيقتنع المتلقي به، لأن الصورة التشبيهية أو التمثيلية تتعاون قوى النفس في فهمها، لذلك كان التشبيه أداة ناجحة في الوصول إلى الهدف(٢).

وقد عدُّ التشبيه من أكثر الصور الشائعة والواردة في كلام العرب والقرآن الكريم بصفة خاصة، ولذلك كانت له مكانة مميزة عند البلاغيين؛ لأنَّه يقوم على إدناء البعيد، وإخراج الخفي إلى جلي، فالتشبيه " إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بالكاف أو نحوها"(٣)، (وهذا الإلحاق مقترن بغايات بلاغية وحجاجية كما هو معلوم، إمَّا من أجل التوضيح، أو بيان إمكان المشبَّه...، وهي كلها ترتبط بقصد المتكلم، يضاف إلى ذلك " أنَّ التشبيهات ليست على درجة واحدة أو مستوى واحد في تصنيفها من حيث قوة التصوير والمبالغة؛ إذ تتفاوت التشبيهات فيما بينها بالنظر إلى هذه الناحية؛ أعني المبالغة ودرجة التخييل، والتي لها علاقة بالبنية التركيبية للتشبيه، وما تنطوي عليه من أجزاء تذكر أو تُحذف على صعيد التعبير"(٤).

(١) ينظر: الحجاج في القرآن، عبد الله صوله، دار الفارابي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص٤٩٠.

(٢) ينظر: أثر التشبيه في تصوير المعنى، عبد الباري طه سعيد، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م، ص١٠.

(٣) أحمد الحملاوي, زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، تحقيق : مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص٨٩.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني, تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، =

ومن نماذج ذلك مقال نشر للكاتب في صحيفة المدينة بعنوان:" الإساءات إلى الأديان والرسل دون ردع"[١]، يقول فيه:" فالعدوان على وسائل بث القيم والأخلاق من الأديان الكبرى في هذا العالم جعل العالم مكاناً للرذائل لا الفضائل، حتى أصبحت القيم الجمالية تغيب ويحل محلها قيم سالبة تدمر المجتمعات مثل المثلية بين الرجال في حيز والنساء في حيز آخر، وانتشر كل ما يدمرها من تعاطي المخدرات والمناداة بالاستمتاع بها، وأصبحت حقوق الإنسان تُبنى على قيم سالبة ويدخل في صلبها كل ما هو اعتداء على الفضائل. كل هذا جعل العالم ساحة للمزايدات على نشر الرذائل باسم الحفاظ على حقوق الإنسان، حتى عدّ البعض أن الإساءة إلى الأديان والأنبياء من قيم الحرية التي يجب أن يحافَظ عليها، وتنادى بذلك زعامات عالمية".

فانظر إلى قول الكاتب (كل هذا جعل العالم ساحة للمزايدات على نشر الرذائل باسم الحفاظ على حقوق الإنسان) لقد صور التشبيه العالم الآن بساحة كبيرة للمزايدات، الهدف منها نشر الرزائل، وقد صور التشبيه بالساحة الكبيرة اتساع المؤامرة لتسع كل العالم، لقد استغل الكاتب الطاقة الحجاجية في التشبيه لتصوير فساد هذا العالم وميله إلى الانحراف.

وهذا التشبيه قريب من قول ابن الجوزي: **"يا تائها في ليل الشباب أما ترى فجر المشيب"**[٢] فهو في هذا التشبيه يعطي بعدًا نفسيًا مؤثرًا قائمًا على مشاهدة الحوادث من حول الشخص، فهو يرى بعينيه الشباب والشيوخ، وتتجلى روعة التشبيه في النص عندما يشبه الشباب بالليل، مستخدمًا اللون الأسود لشعر الشاب والذي يشبه الليل في سواده، ومستخدمًا اللون الأبيض للشيب فهو يشبه الفجر عندما يشق ظلام الليل، وهنا تتجلى روعة التشبيه الحجاجية، ليجعل الأمر أقر للذهن وأوقع في نفس المتلقي.

يقول قدامة بن جعفر:" إنه من الأمور المعلومة أن الشّيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره

القاهرة، ط٢،٢٠٠٣م، ص ٢٢٨.

(١) نشر بتاريخ ٩ يناير ٢٠٢١م.

(٢) المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي، ص ٨٢

من كل الجهات، إذ إنّ الشّيئين إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتَّحدا، فصار الاثنان واحدًا، فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بها وافتراقا في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشّيئين اشتراكهما في الصّفات أكثر من انفرادهما فيها، حتَّى يدني بهما إلى حال الاتحاد"[١].

٢ـ الحجاج بالاستعارة:

إن الاستعارة طريقة من طرق إثبات المعنى، إيحاءاتها النفسية تتمثل في شعور المتلقي بشدة الشبه وقوة الرابطة بين طرفيها، ومن ثم فالاستعارة من حيث التركيب قياسا مختصرا حذفت مقدمتاه واكتفي فيه بالنتيجة.فهي محصلة استدلال ذهني يقوم به المتلقي[٢].

إن الحجاج عن طريق الاستعارة لا يقتصر فقط في العلوم الإنسانية، بل إننا كثيرًا ما نلمسها عن كثب في بقية العلوم، وأقصد بها العلوم الصرفة التي تستعين بها في الفرضيات؛ لكي تثبت برهانها وتقنع المتلقي بصحة نظرية أو قانون عن طريق الاستبدال إذ تشتغل الاستعارة حجاجيًا من خلال عملية الاستبدال بوصفها حركة يتم من خلالها بيان، وبالنتيجة تنمحي الحالة التي يكون فيها المتكلم قاصرًا عن أداء مقصده محيلًا بذلك إلى مكان تنبئ يستهدف فيه مقاصده[٣].

والاستعارة تعمل في النفس عمل السحر، فهي تحرك وتفجر، وهي في نفس الوقت تلطف وتهون، فقد وظف ابن الجوزي الاستعارة توظيفًا حجاجيًا، فكانت محركة مثورة مهيجة، واستطاع أيضا أن يجعلها أشبه بالمخدر الذي ينسي أنه الألم[٤].

---

(١) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر: ص ١٢٤.

(٢) ينظر: الحجاج ووسائلة البلاغية في النثر العربي القديم،د. أيمن أبو مصطفى، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة، ص١٥٥.

(٣) أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، مثنى كاظم، ص١٨٣

(٤) الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، أيمن مصطفى، ص١٧٣

ومن نماذج الاستعارة في كتابات عبد الله فراج الشريف، مقال كتبه في صحيفة المدينة بعنوان:" حديث إعلام الغرب عن الشرق"[١]، يقول فيه:" منذ يبدأ إرسال بعض الإذاعات العربية الناطقة باللغة العربية وهي تتحدث عما يمكن أن يشوه الأنظمة العربية، بحديث مسموم، فكل ما يقع في هذه الدول ترسمه هذه الإذاعات على أنه تكميم الأفواه، وسجون تفتح لكل من يفتح فمه من المواطنين، وتسمع التصوير المشوَّه لما يجري في هذه الدول، فإذا كله غياب تام عن الحياة البشرية السوية، فالمواطن إذا احتج على أي وضع يستحق النقد يواجهه القبض ثم السجن الذي يبقى سنوات طويلة دون محاكمة، ثم فبركة أحداث تبرر هذا الوضع!!، ويفزع مواطنو هذه الدول كيف شُوهت حياتهم الى هذه الصورة المعتمة".

انظر إلى قوله حديث مسموم، استعارة مكنية صورت الحديث بسائل وضع به سم، بهدف قتل كل من يشرب منه، والطاقة الحجاجية للاستعارة هنا تتمثل في قوتها الإقناعية، فالماء لا يمكن الاستغناء عنها، لذا كان وضع السم فيه هو من قبيل الفتك بشاربه حتما، كما أن الأذن لا يمكن حجبها عن الأصوات حولها، فهي متضررة لا محالة.

فالمتلقي يصل إلى المعنى الذي يريده القائل من خلال عملية استدلال يقوم بها الذهن في الربط بين طرفي الكلام، وعندما يحمل الكلام مفاد الاستعارة فإذ هذا يجعل العقل أكثر تدبرًا وبحثًا عن المعنى.[٢]

وانظر إلى قوله (فكل ما يقع في هذه الدول ترسمه هذه الإذاعات على أنه تكميم الأفواه) استعارة مكنية أخرى، حيث شبهت الأحداث والأخبار برسوم ترسم، أو قضايا تحاك وتلفق، وهو ما يشير به إلى الدور المشبوه الذي تقوم به هذه الإذاعات من نشر الإشاعات وتدمير الأمم.

إن الأهمية في الاستعارة الحجاجية تكمن في المضمون الدلالي الذي تحمله إلى المخاطب، بغض النظر عن مستواها غير الحقيقي بغية بناء هوية إقناعية لما تحمله أكثر

(١) مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ٢ يناير، ٢٠٢١م.

(٢) أيمن مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، ص١٥٣

من بنائها لهذه الهوية عن طريق الحقيقة على أنها تنهل من الحقيقة المستعار منه، وإعادة توصيفه و تشخيصه ضمن تصورات المرسل.

٣ـ الحجاج بالكناية:

الكناية تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها، ومما لا شك فيه أن ذكر الشيء يصحبه برهانه أوقع في النفس.. ومن الاستنتاج العقلي لمعنى لازم الكناية نصل إلى معنى الملزوم المقصود من الكناية، كقول العرب المعروف في الكناية:"كثير الرماد"، فاللازم كثرة الرماد يوصل بالاستنتاج الفكري إلى الملزوم وهي صفة الكرم للممدوح بهذه الصفة(كثير الرماد) بأسلوب الكناية(١).

ومن نماذج ذلك في وقت الكاتب، مقالة بعنوان:" لن يُهزم الإسلام وتراثه قد جُرِّب وانتصر"، يقول فيه:" جاء الإسلام ومع نبيه ـ ﷺ ـ كتاب، ليبني حضارة إنسانية راقية استطاعت أن تستقطب عقلاء البشر إلى صفوف المؤمنين به، ونجحوا في دعوة الآخرين للالتحاق بهم، حتى انتشرت حضارة بلغت الآفاق، فآمن به الناس في شرق الأرض وغربها وبلغ أقصى شمالها المعمور وجنوبها، وضربوا أكباد الإبل في فيافيها وبلغوا أقصى أقطارها يدعون أهلها الى هذا الدين الحنيف، فسمع منهم الناس وآمنوا بما جاء به نبيهم، فلا تتوجه إلى أقطار الأرض كلها إلا وجدت آثارهم والمؤمنين بدينهم، فلا يجهله اليوم من أهل هذه الأرض أحد".

فالكناية قضية والدليل عليها، ففي قوله: (ضربوا أكباد الإبل) كناية عن الرحلة إلى من يستحق، وفي ذلك تصوير لصعوبة الرحلة، حيث الذي يقوم بها الإبل وهي تتصف بالصبر والبطء أيضا، كما تصور التعب والرهق الذي أصاب هؤلاء في نشر الدعوة.

إن توظيف الكناية في الحجاج يكسب النص طاقة حجاجية يستطيع المحتج من خلالها المتلقي ويجعله يذعن لما يقول، وذلك لأن للكناية قدرة في إثبات المعاني فهي بمثابة الدليل وهذا ما يؤكده الزركشي في قوله " وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه

(١) ينظر: الحجاج ووسائلة البلاغية في النثر العربي القديم، ص١٨٩.

في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أولى"[١].

لقد تنبه النقاد إلى القيمة الفنية للصورة الأدبية متمثلة بأنواع علم البيان: التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، ورأوا أن أفضليتها تكمن فيما تحدثه من أثر في الأسماع والقلوب[٢]، وإظهار ما خفي عن الناس مبالغة في المعنى [٣]، فقيمة الصورة الأدبية تنبع من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى، وتأثيرها في المتلقي[٤]، وهذه القيمة إذا ما تم تداولها من الناحية الحجاجية فإن تأثيرها في النفس يكون أكثر إقناعًا للمتلقي وأكثر تأثير عليه، فالكناية وإن كان لها موقع في البلاغة عظيم، من حيث كونها تفيد الألفاظ جمالا وتكسب المعاني ديباجة وكمالا، إلا إنها من الناحية الحجاجية تحرك النفوس إلى عملها وتدعو القلوب إلى فهمها، فتردع المخالف، وتثيب الموافق، وتقيم الحجة على الجميع، فتقوي في نفس الصالح صفة الصلاح، وتبدد في نفس الطالح صفة الفساد، وفي هذا إشارة إلى أنها في الموقف الذي تلقى فيه أليق بالاستعمال لما تحققه من الفنية والجمال، وفي الوقت ذاته لما فيها من الحجة والبرهان؛ لأن غيرها من الأشكال البلاغية تعجز عن ذلك[٥].

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر محمد بن عبدالله الدين الزركشي، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم،ج٢،ط٣،مكتبة دار التراث، ص٣٠١

(٢) انظر الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ٢٦٩. العمدة، ابن رشيق: ١/ ٢٦٦.

(٣) انظر: تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع: ص ٩٩.

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور: ص٣٢٨.

(٥)حجاجية البلاغة، الكناية نموذجا، د. عدة قادة جامعة تيارات، الجزائر، ص١٢٢

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة ببعض النتائج، أذكر منها:

١- أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وأن الحجاج متجذر في اللغة ولصيق بها التصاق وجهي العملة الواحدة التي لا يمكن فصل أحد وجهيها عن الآخر.

٢- إن مقالات الرأي المنتجة من قبل الصحافة المكتوبة هي المنبر الأساسي لتمرير خطابها الصحفي ذي الوجهة الحجاجية؛ لما له من قدرات إقناعية تؤهله لإيصال الفكرة، ومن ثم الإقناع بها.

٣- تتكاتف الاستعارة مع التشبيه إضافة للكناية، داخل النص الواحد؛ لتطبع الصّورة الفنية في الشّعر بطابع خلاق مبتكر، وإن كانت الاستعارة درجة أعلى في الصّنعة، ومرتبة أدق في النضج والوعى الفني.

٤- قد لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكن يعرفه من معنى اللفظ، فالخيال يلعب دورا أساسيا في الوقوف على حدود هذه القيم البيانية من الناحية الحجاجية بما يقيمه الذهن من علائق وارتباطات بين أطراف هذه الصور البيانية.

٥- لقد جعلت تلك الصور البيانية عند عبد الله فراج الشريف المعنويات حسية والجمادات ناطقة؛ لكي تكون مؤثرة في الخطاب فتدفع بالمتلقي إلى الاقتناع بما أريد طرحه في الاستعارة بوصفها تمثيلًا مركبًا من تخييل وتصوير هي شكل خطابي يدفع بالحجة إلى مستوى لا يتحدد معه ميزان المعرفة قيم الحقيقة فيقع البرهان بسلطة لا تنقضي.

٦- جعل عبد الله فراج الشريف الارتياح قائمًا في نفس المتلقي من خلال ذلك التلاحم الشديد بين الألفاظ؛ بما تثيره في نفسه من مشاعر البهجة والسرور والبهاء والنقاء.

٧- من أهم الفوائد التي يقوم بها الأسلوب الحجاجي، هو أنه يعزز الحوار بين الأفراد في المجتمع، وهو هدف سام للصحافة المكتوبة عموما ولكاتبنا خصوصا.

٨- كان الكاتب عبد الله فراج الشريف يتخير الألفاظ تخيرا يقوم على أساس تحقيق الموسيقى المتسقة مع السياق، وتعد الموسيقى الصوتية رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس، وامتلاك الأنغام للأسماع.

٩- استعمل الصيغ الصرفية كأداة حجاجية، حيث اختار الكاتب صيغا صرفية دون غيرها لتعبر عن موقفه تجاه موضوع الخطاب، والرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي.

فهرس المراجع

١. **أثر التشبيه في تصوير المعنى**، عبد الباري طه سعيد، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م.
٢. **الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني, تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.
٣. **البرهان في علوم القرآن**، بدر محمد بن عبد الله الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢،ط٣، مكتبة دار التراث.
٤. **بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني**، د. عبد الرحمن رجا الله السليمي، مجلة الأثر، العدد (٢٩)، ٢٠١٧م.
٥. **البيان والتبيين**، للجاحظ، ت. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
٦. **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**، د. سامية الدريدي، دار حلاوة للنشر، الأردن، ٢٠١١م..
٧. **الحجاج في القرآن**، عبد الله صوله، دار الفارابي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٨. **الحجاج والاستدلال الحجاجي**، حبيب أعراب، عالم الفكر، ٢٠٠١م، ص٢١١.
٩. **الحجاج والحق في الذاتية**، خالد ذكري، مجلة علامات..
١٠. **الحجاج ووسائلة البلاغية في النثر العربي القديم**، د. أيمن أبو مصطفى، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة.
١١. **حجاجية البلاغة، الكناية نموذجا**، د. عدة قادة جامعة تيارات، الجزائر.
١٢. **خصاص الحروف ومعانيها**، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
١٣. **الخصائص لابن جني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
١٤. **دراسة لغويّة ومعجمية**، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٠، الإسكندرية..
١٥. **زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع**، أحمد الحملاوي, تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٦. **سر صناعة الإعراب**، لابن جني، ت. د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م.

١٧. **الصناعتين لأبي هلال العسكري**، ت. علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

١٨. **لسان العرب لابن منظور**، ت. عبد الله على الكبير، دار المعارف، بيروت.

١٩. **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م، ص٢٢٦.

٢٠. **اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي**، العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م، الدار البيضاء، ص١٦.

٢١. **المثل السائر، لابن الأثير**، ت. أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر.

٢٢. **مفتاح العلوم**، السكاكي, تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢،١٩٨٧م.

٢٣. **المفردات في غريب القرآن**، للأصفهاني، ت. صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٢٤. **المورد العذب في المواعظ والخطب**، ابن الجوزي، دار التبيان للطباعة، بيروت، لبنان.

٢٥. **نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكرو وأنسكومبر"**، جايلي عمر، جامعة الأغواط، بحث منشور في مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد (٣)، ٢٠١٨م.

٢٦. **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ) الناشر: مطبعة الجوائب - قسطنطينية الطبعة: الأولى، ١٣٠٢

٢٧. **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الصحف والجرائد:

- مقال منشور بجريدة البلاد بتاريخ، ٢٠٠٢/٢/١٥م.

- مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ٢ يناير، ٢٠٢١م.
- مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ١٦ يناير ٢٠٢١م.
- مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ١٣ فبراير ٢٠٢١م.
- مقال منشور بصحيفة المدينة بتاريخ، ٢٥ فبراير ٢٠٢١م.

أهم المواقع:

https://www.al-madina.com/author/763

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

مقدمة ١٢٩٩
المبحث الأول مفهوم الحجاج ووظائفه وآلياته..... ١٣٠٤
الحجاج في اللغة:..... ١٣٠٤
الحجاج في الاصطلاح:..... ١٣٠٤
وظائف الحجاج:..... ١٣٠٥
الحجاج في البلاغة العربية:..... ١٣٠٦
فوائد الحجاج:..... ١٣٠٦
أمور يجب مراعاتها:..... ١٣٠٧
الكاتب عبد الله فراج الشريف:..... ١٣٠٧
المبحث الثاني مستويات الحجاج في مقالات عبد الله فراج الشريف..... ١٣٠٩
الحجاج على مستوى الكلمة المفردة:..... ١٣٠٩
أولا: المستوى الصوتي:..... ١٣٠٩
ثانيا: الحجاج على المستوى الصرفي للكلمة:..... ١٣١١
ثالثا: الحجاج على المستوى المعجمي للكلمة:..... ١٣١٥
رابعا: الحجاج على مستوى الصورة:..... ١٣١٧
الخاتمة..... ١٣٢٣
فهرس المراجع..... ١٣٢٥
فهرس المحتويات..... ١٣٢٨